المكونات الحضرية لقلعة كركوك

دراسة لمكونات وانماط الهيئة الحضرية لقلعة كركوك

أميد جمعة صديق
مدرس مساعد / جامعة السلمانية

د. لطف الله جنين كتانه
أستاذ مساعد / كلية الامام الاعظم

المقدمة والمستخلص

مرت قلعة كركوك بعصور تاريخية متعاقبة لإمبراطوريات وحضارات مختلفة حكمت مناطق إقليم كردستان وشمال العراق بشكل عام حملت ضمن تسلسلها الزمني احداث كبيرة من حروب وتصادمات بين هذه الحضارات اثرت وبشكل كبيرة في واقعها العمراني وتغييره بشكل غير منظم ليحمل انماطا هندسية متعددة في عمارته ثم جاءت ظروف سياسية واجتماعية للحقبة السابقة لتأكل جسد هذه المدينة وتكون سببا لفقدان اكثر من 60 % من واقعها العمراني ولم يبقى من عناصره ونسيجه إلا مجاميع متناثرة تعطينا نصا غير مترابط لا يمكن قراءة بنيته العمرانية بشكل واضح. كما ان احداث السنوات القليلة السابقة ادت الى فقدان المخططات القديمة والوثائق المتعلقة بتاريخ عمارة هذه المدينة التاريخية وهندستها. وأصبح من المتعذر تشكيل معرفة شاملة للنسيج العمراني للمدينة. وهذا يؤدي بنا للتعرض الى مشكلتين رئيسيتين:

1- انه من المتعذر دراسة النسيج الحضري لها ومعرفة الاسس التخطيطية التي من الممكن الاستناد عليها لمثل هذه الدراسة، وان تشتت عناصره المعمارية ومكوناته الحضرية افقدتها الاشارات الواضحة لربطها وبناء تصور واضح لبنيتها الحضرية.

2- ان عدم وجود دراسات متكاملة جعلت محاولات الاحياء او التجديد الحضري لا تلبي قيمتها التاريخية والرمزية.

لذا كان من الضروري ان يضع البحث هدفين أساسيين يصبو الى تحقيقهما، **الأول**، معرفة المؤثرات التي اثرت وتأثرت بها عمارة القلعة، **والثاني**، محاولة ايجاد مؤشرات تخطيطية وعناصر معمارية وربط أجزائها لتكوين بنية حضرية يمكن ان تستند عليها مثل هذه الدراسات. مفترضا "أن المكونات الحضرية لهندسة عمارة القلعة يمكن أن ترتبط لتشكل نظام هندسي معماري لها شخصيتها المميزة لها والتي هي اساسا كانت البنية الحضرية التي اعطت هيئتها".

من اجل تحقيق الأهداف السابقة فالبحث سوف يقوم بالخطوات التالية:

1- وصف ودراسة القلعة من خلال المصادر المتبقية وهي (توثيق تاريخي، واقع حال أثارها القائمة، والمخططات المتبقية)

2- عرض مكونات البيئة الحضرية بشكل عام ثم تطبيق ذلك على المصادر السابقة.

وينتهي البحث بمجموعة من النتائج والاستنتاجات التي اكدت فرضية البحث، وركزت على الهيئة الحضرية للقلعة والعوامل المؤثرة في نشأتها واعطائها تلك الهيئة باعتبارها مستوطنة حضرية لها شخصيتها المتميزة.

الخط الزمني لنشوء قلعة كركوك

تعتبر من اقدم اجزاء المدينة اذ تذكر المصادر ان عمرها يمتد الى 3000 ق.م، وانها كانت مركزا لعبادة الالة (ادد) في المصادر الآشورية. وجاء اقدم ذكر للمدينة إلى العهود السومرية من عصر فجر السلالات (2600) ق.م. وذكرت باسم (أرابخا) في قراءة الرقم الطينية المستخرجة من سفح قلعة كركوك صدفة عام 1923 م، كمدينة ظهرت في 2000 قبل الميلاد على مجرى نهر الخاصة. و أشتهرت أيضا باسم ديمتو كرخي شيلواخو (قلعة مدينة بني شيلوا) التي تجسد باسم حاكمها الحوري القديم الملك شيلوا تيشوب. وقد أطلق اسم كرمكان germekanعلى مدينة كركوك في العهد الساساني. كما و أطلق عليها في المصادر السريانية اسم بيث كرمه bêth germe . وأطلق ياقوت الحموي اسم كرخيني عليها لغاية القرن السابع الهجري.

وجاء في نصوص مؤرخين اخرين ان القلعة بنيت في عهد الملك الاشوري اشور ناصر بال الثاني بين عامي 850 و 884 قبل الميلاد حيث اتخذه الملك كخط دفاعي، واحد مراكز الجيوش . وفي عهد الملك البابلي نبوخذ نصر(562-605)

ق .م اعيد بناء القلعة. وعندما اجتاح الاسكندر المقدوني بلاد العراق أصبحت قلعة كركوك ضمن إمبراطوريته، وكانت المدينة ضمن حصة القائد سلوقس الذي بنى حائطا دفاعيا قويا حولها و شيد 72 برجا حول شوارعها الاثنان و الثلاثون و مدخليها حيث وانشا في قلعتها قصوراً لمملكته فأصبحت المدينة تدعى (كرخ سلوخ). وقد تمكن فيما بعد الفرثيون الفرس السيطرة على المدينة، وعرفت بأسم (بيت كرماني) وأصبحت المدينة في قبضة الساسانيين. وبعد انقراض دولتهم بعد ظهور الامبراطورية الاسلامية دخلت تحت راية الامبراطورية الإسلامية بعد واقعة القادسية سنة (636)م وكانت تعرف باسم (كورة باجرمي). ثم توالت على كركوك الفترات (المغولية، والجلائرية، والصفوية). وقام القائد المغولي تيمورلنك بزيارة القلعة عام 1393 اثناء حملاته العسكرية.

وفي أوائل القرن السادس عشر الميلادي حكم العثمانيين القلعة (1639 الى 1917)م. وتعرضت كركوك لعدة هجمات فارسية اشدها سنة 1742م حملة طهماسب وقامت قواته بغزو مدينة كركوك وحصار قلعتها واحدثوا ثغرات في سورها فلم يبق أمام أهلها إلا الاستسلام ثم انسحبوا وتراجعوا عن مواقعهم. وبعد خروج العثمانيين من العراق 1917م وقيام الدولة العراقية 1920م جعلت كركوك مركزاً إداريا للواء كركوك .

ولعل الملاحظ فيما سبق ان الحقبة الأخيرة لمدينة القلعة، والتي تمثلت بالفترة بعد الإمبراطورية الإسلامية وبجميع فتراتها، هي ما تبقى من بنيتها الحضرية. ولأجل فهم اكثر لمدى تأثير هذه الحقبة على البنية الحضرية والمعمارية للقلعة، فمن الضروري العروج الى بعض المفاهيم الأساسية التي تركز على عوامل تكوين المدن الإسلامية، والعناصر الحضرية والمعمارية الأساسية فيها.

عوامل تكوين المدن الإسلامية

تقسم العوامل الأساسية لتكوين المدن الإسلامية الى أربعة عوامل أساسية هي: العامل الجغرافي، والعامل الروحي (الاجتماعي)، والعامل الحضري، والعامل العسكري (الأمني).

العامل الجغرافي والمناخي

أذ تتميز بأنها مدينة عفوية، تندمج عضويا مع المناخ والطبيعة ، وتطابق حاجات الانسان مع واقع الحياة. فهي تابعة لظروفه. ومناخ المدن الاسلامية متطرفة فروقها الحرارية كبيرة. وتكون فيها الدروب والازقة ضيقة وملتوية. ويغلب استخدام الكتيبات والبروزات في المباني. كما وتغطى الاسواق بقبو للحماية المناخية واعطاء طابع الوحدة. ولا يزيد الارتفاع عن طابقين ليضعف الفارق الحراري المحمول بتيارات الهواء. تلتصق المساكن في المدينة او تتصل بأزقة ضيقة يعطي طابع التلاحم والتماسك، والفناء الداخلي للمساكن لا يتأثر بظروف الجو ويعطي الظلال لفضاء المسكن. وتستخدم البرك والفسقيات في داخل الغرف ايضا.

العامل الروحي (الاجتماعي)

الايمان بالوحدانية والامة الواحدة انعكس في المدينة بإعطاء طابع التلاحم وترابط الاحياء والترابط عبر ازقة مرنة ملتوية متقاربة . وفي المسكن فان التوجه فيه داخلي. مع اعطاء الصفاء والتواضع من الخارج والاغناء والتنوع من الداخل بالحدائق والمعالجات الاخرى. اذ ينعزل الساكن عن العالم الخارجي ليختلي بالسماء في الفناء الداخلي. كما وان الاقواس تعبر عن الالفة والاحاطة. وفي الزخارف تبدا الخطوط لتتجرد ثم تنمو ثم تعود الى البداية وهكذا اشارة الى الحيوية . ويكون المسجد الجامع نواة تشكيل المدينة العفوية وهي تستعمل خمس مرات كل يوم . ويكون الاتجاه الى القبلة لفي أغلب المباني.

العامل الحضري

يشترط وجود الماء والامان وعامل التبادل (للأشخاص والسلع). ولتحقيق ذلك فان الزقاق ينفذ الى مجموعة من المساكن وفي بدايته باب دفاعي. والمدينة لا تحوي ساحات للتجمع سوى المسجد. وتوجد وظائف اساسية في المدينة منها:

الأسواق، الخان (الفندق)، الحمام، دور القران، خانقاه، المشفى، ...وغيرها. ويكون التدرج الفضائي هو السمة الأساسية لبنية المدينة، من العام الى الخاص.

العامل العسكري (الأمني)

تشتهر العمارة الاسلامية بإنشاء المدن المحصنة (اوقات الفتوحات السريعة) تبدأ بإنشاء سور ثم بناء مسجد وقصر الامير. وحولهما المنشآت العامة والاسواق ثم المساكن. وكانت تستخدم المواد والتقنيات التي اشتهرت بها تلك المدن. وبعد تحقق الامان تضعف الحاجة الى تحصينات فتتحول المدينة الى احياء اوسع ومناطق تجارية، ووظائف عامة أخرى. شكل (1).

البيئة الحضرية ومكونات هيئتها التقليدية

تعرف **البيئة الحضرية** (معمارياً) تعني الطريقة التي تتشكل بها الأبنية وتتجمع مع العناصر المجاورة لها نتيجة لقوى اقتصادية واجتماعية وسياسية مشتركة والتي تشكل بمجموعها مفهوم المدينة (المستوطنة). أما **المدينة**، فهي تعرّف على انها ظاهرة اجتماعية مكانية تتكون من مجوعة من الناس والبيئات، وتكون تلقائية المنشأ وذات طبيعة انسانية. اذ يمكن اعتبارها منظومة تتكون من عدة منظومات ثانوية مرتبطة بعلاقات ينتج عنها الشكل النهائي للمدينة، وهي (المنظومة الفيزياوية، والاتصالات والمواصلات، والمنظومة المعرفية والقيم ، ومنظومة اتخاذ القرار ، ومنظومة الإنتاج). أما خصائصها، فهي: تلقائية المنشأ، ذات طبيعة إنسانية، تمتاز بموضوعيتها، وتمتاز بالترابط.

ويبدا نشوء نمط **الهيئة الحضرية** من بداية استقرار المجتمعات الزراعية، ثم تليها ظهور الاختراعات البسيطة (التخصص في العمل وتقسيم الاراضي). **وانماط الهيئة الحضرية** Urban Formsهي:

- **المتعامدة**، كما في النماذج الاغريقية والرومانية، والاشورية، ومدينة بابل
- **الدائري**، كما في النماذج الدفاعية والمحصنة ونماذج سفوح الجبال
- **الشعاعي**، والذي يعطي امكانية التوسع عبر المحاور
- **المتعامد والمنحني**، كما في نماذج مناطق التقاء سفوح الجبال بالحقول، كنماذج العصور الوسطى.

أما نماذجها الأساسية (نفس الشكل السابق)، فهي:

- **الجيومورفية**: يرتبط شكل المستوطنة ببيئتها الحضرية والمناخ. تنمو عضويا مع التضاريس وتستغل للحماية والدفاع.
- **المتراكزة**: وحدة متكاملة. يحيطها سور يفصلها عن الخارج. وهي تمتلك مركز رئيسي تمثل بؤرة التكوين الفضائي والوظيفي. ويرتبط شكل السور بشكل الارض. في بعض الاحيان يستعاض عن السور بأحزمة خضراء وطرق مرور إذا لم تكن الحاجة ماسة الى تحصين دفاعي.
- **المتجمعة**: تتشكل من تجميع عناصر كثيفة تنتشر بأنماط وكثافات وايقاعات متباينة في فضاء غير محدد. تنمو عضويا بالتدرج بغياب سلطة مركزية
- **المتعامدة**: وهو نمط متعامد موديولي رابطة تنشا لأغراض سياسية واقتصادية. وتعتبر مفروضة من خارج المجتمع. كالأنماط المتعامد الخطية في المدن التجارية. شكل (2)

المكونات التقليدية للهيئة الحضرية

وهي خمسة، كالاتي:

- **المسلك paths**: قنوات الحركة – وشبكة الطرق الرئيسية والثانوية، وهي تشكل المحاور وتدرجاتها (المسارات) وهي تساعد على الانتقال عبر الاجزاء . والمسارات هي تكوينات خطية حركية اتجاهية وهي تعطي تعبير هوية المكان وقرار المدينة.

- **الحافات edges**: خطوط ومسارات لا تستعمل كحركة و تفصل القطاعات (الاحياء) ويمكن ان تختفي وتندمج تدريجيا في بعض الحالات (كما في المدن الاسلامية) .
- **القطاع sector**(ومن ضمنها الحي): اجزاء من النسيج الحضري، لها هويتها بفعل عوامل معمارية حضرية اجتماعية ثقافية اقتصادية . وهي تتشكل من بنى تجميعية بشكل كتل مقطعية تدرك ببعدين.
- **العقد nodes**: وتتكون عند تقاطعات المسالك والممرات والمحاور . وهي تساعد التقاء السكان (لوظيفة التبادل) فهي اماكن تكثيف الفعاليات والتوجه الى دلائل بصرية مهمة.
- **الدلائل البصرية land marks**: وهي العناصر المادية البصرية المهمة في النسيج الحضري والتي تحدد اهمية القطاع والحركة المكثفة وتوجه المسارات .

الدراسة الميدانية

الموقع: تقع في النصف الغربي من المدينة، يحاذيها نهر (الخاصة) من الشرق، وتعتبر مركزية خصوصا بالنسبة للأحياء القديمة للمدينة. شكل (3 و4).

- النطاق الأصفر، تمثل مناطق سكنية عضوية النمو، تراثية قديمة (تنتمي لمراحل التوسع الأولى).
- الأبيض، تمثل الاسواق التراثية التي تحيط بالقلعة كأهم نشاط تجاري يحيط بالقلعة ويرتبط بحياتها بعد التوسع حولها.

الهيئة العامة للتل والابعاد العامة: كتلة التل بيضوية اقرب الى الدائرة، ابعادها مبينة في الشكل ( ) وبنسبة (4:3)، تقع على ارتفاع 18 م من الشوارع الجانبية على تل يتناقص ارتفاعه في جزئها الغربي، وتتدرج حافاته وصولا الى المستوى الصفر. شكله القريب من الدائري سببه الاصول الاشورية والدويلات الشمالية (لإقليم كردستان) كنمط في هندسة المدن (ديار بكر، سنه، اربيل) .. الخ. شكل (5 و 6).

وشكل (7 و 8) ما يظهر من النسيج القديم في المخططات القديمة. متمثلا في تسقيط تقريبي من المخططات القديمة، يبين هيئة النسيج كتكوين حيوي حركي، ويبدو فيه تحكم الجزء المركزي كجزء، مميز في هذا التشكيل.

المكونات التقليدية للهيئة الحضرية

- **المسلك paths**: لها أربعة مداخل (2 غربية – 2 شرقية)، وهي باب الادرج – الطوب – زندان – الحلوجي. يوجد جسر حجري قديم كان يربط الجهة المقابلة من النهر بباب الادرج مباشرة شيد 1875. ثم يرتبط هذا المسار بالمسار الحلقي الشكل السابق. تنمو المسارات وتتفرع بشكل غير منتظم (عفوية التكوين تتصل بالنمو العفوي للسكان). عضوية النمو ذات أزقة ضيقة ملتوية أميبية الترابط وهي تنتهي إلى نهايات مسدودة. يوجد مسار يصل إلى كل شاخص (دليل بصري) يرتبط بالمسار الحلقي.شكل (9).
- **الحافات edges**: من الشكل (14) يمكن ملاحظة ان النسيج العضوي ينساب الى ان يجعل الحافات تندمج مع بعضها وتبقي حدود افتراضية بين القطاعات. وهذا ما يعزز مبدا التبادل في الناس والسلع. ويلاحظ أيضا بقاء جزء من السور في الشمال ولا يوجد في أي مكان اخر سوى جزء مرتبط بباب الطوب. ومحيط القلعة الباقي تنتشر فيه الدور ومباني اخرى تدل على فترة التوسع خارج القلعة قرن (16) ميلادي.
- **القطاع sector(ومن ضمنها الحي)**: تقسم الى ثلاث قطاعات سكنية (احياء سكنية)، وهي (اغالق – مدان – حمام (حمام مسلم وحمام مسيح)، كذلك منطقة صغيرة هي زندان لوجود بناية زندان (السجن). والقطاع

المركزي، له خصوصية ملحوظة بإحاطته بالشارع الحلقي المحيط به. يوجد فيها مسجد او جامع احدها هدم والاخر لا زال قائما. وضريح سلجوقي لأحدى الاميرات. وسوق قيصرية طرازها اسلامي مغلقة متراصة ترتبط بالمدخلين الرئيسين (طوب والادرج).

ان وحدات القطاع السكني عضوية التجاور والربط، متآلفة ذات طابقين تتجه الى الداخل لتكون فناءا داخليا بسيطة الواجهات صريحة. تتخصص القطاعات (حمام مسلم حمام مسيح). ولا توجد مساحات تجمع اخرى ضمنها. شكل (10).

- **العقد nodes**: وتقسم الى: عقد عند تقاطع نقاط الحركة ومن ثم توزيعها الى اتجاهات اخرى حسب التدرج من العام الى الخاص، وعقد عند المداخل الرئيسية، وأخرى عقد تربط المسار الاصلي وتوجه نحو دلائل بصرية. وان احدى العقد خارج القلعة يبدو عليها القوة والسحب للمسار والحركة وهي ترتبط بباب زندان، وهذا يعزى الى مراحل التوسع وباعتبار هذا الباب اقوى نقاط التوسع والسحب الذي حدث الى خارج القلعة قرن (16) ميلادي.
- **الدلائل البصرية land marks**: الدلائل البصرية ربما هي الاكثر ثباتا من النسيج الباقي ربما لأسباب اجتماعية وسياسية. وتتضمن:
  - جامع نبي دانيال (قرن 14) معبد يهودي ثم كنيسة وحول الى جامع في 1655 العهد المغولي.
  - اولو جامع (الجامع الكبير) كنيسة قديمة حولت الى جامع قرن 16 ميلادي.
  - القبة الزرقاء، السلجوقية.
  - سوق بقرب باب الطوب لا يعرف زمن انشاءه.
  - جامع عريان في المركز وجامع فضولي في الجزء الشمالي لا يعرف زمن تشيدهما الاصلي (وهما في حالة غر جيدة عمرانيا).
  - مبنى زندان (قرب بوابة يدي قزلار– البنات السبع) الواقع في الجهة اليسرى والمؤلف من خمسة طوابق. وبسب وجود سجن في الطابق السفلي فيه، سمي الحي باسمه (زندان . السجن).
  - البيوت المهمة في القلعة: سيد غني (طيفور) يبلغ عمر هذه المساكن 100 – 150 سنة. وهي بيوت بنيت في العهود المتأخرة للعهد العثماني والتي انتقلت فيها السلطة المركزية خارج القلعة (مثلا بناية القشلاي ومركز الحكومة مقابلها عام 1836 م في الجهة الاخرى من المدينة) لذا فان اغنياء المنطقة والوجهاء بنو مساكنهم في هذه المناطق لمركزيتها وقربها من مدخل باب الطوب الذي أصبح الباب الرئيسي الرسمي.
  - أما خارج القلعة: فهنالك: قرمزي كليسة أقدمها ولا يعرف زمن تشيدها. والتكية الطالبانية – 1706 م. وأيضا القيصرية – 1800 م. إضافة الى جامع فرهاد (ناقشلي منارة) – 1818 م. شكل (11).

الاحياء خارج القلعة (النشوء والتوسع)

لا يعرف بالضبط تاريخ إنشائها. إلا أن المصادر المتوفرة والتي تعود الى 1548م، تشير أن محلة (إمام قاسم) تضم 21 دارا سكنية. كما انه ليست هناك مصادر موثوقة حول تاريخ بناء الجامع المعروف فيه بجامع الإمام قاسم، والذي يضم ضريحا له. إلا ان ثلاث كتابات منحوتة فيه تشير إلى فترات زمنية مختلفة، أجريت خلالها عمليات الترميم في مبنى الجامع في الأعوام 1614و1691و1894. وقد بدأ العمران خارج أسوار القلعة اعتبارا من القرن السادس عشر وشكلت نواته بناء تكية الشيخ عبد الرحمن، التي عرفت فيما بعد بالتكية الطالبانية، والتي تأسست في 1706 للطريقة القادرية. وعلى تلة حمراء ارتفاعها 15 م في الجهة الشرقية من القلعة على طريق كركوك ــ السليمانية، كانت ثمة كنيسة هي الكنيسة الحمراء. رغم ذلك فان السكن لم يبدأ في الصوب القديم إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.، بعد استقرار النفوذ العثماني في المدينة على أثر هزيمة نادر شاه على يد العثمانيين. حيث يعود تاريخ بناء سوق (حلوه جيلر) وجامع محمد غوث ومدرسته إلى عام 1780.

بدأت كركوك تتحول بعد هذه الفترة إلى مركز تجاري مهم، وخاصة في المنطقتين الواقعتين شرق وجنوب شرق القلعة. كما ازدهر العمران فيهما منذ بداية القرن التاسع عشر. ويعتبر سوق القيصرية التي شيدت في 1800 معلما عمرانيا هاما ببواباته السبع واحتوائه على 300 دكان. كما يعتبر في الوقت الراهن سوقا تجارية مزدهرة حيث تنشر فيها المحلات الخاصة ببيع الصناعات الفخارية والأقمشة والنسيج والتحفيات. وقد شهدت السوق تعديلات وإصلاحات شاملة في 1990 .أما مسجد (ناقشلى منارة ـــ المنارة المزخرفة) الذي يتميز بمنارته الزخرفة والمزركشة والذي شهد ترميمات مهمة عام 1984 فيعود تاريخ بنائه كما هو مدون في المســـجد إلى عام 1818.كما يعود تاريخ محلتي (بريادي) و (آوجي) وجامع الحاج نعمان الكائن بنفس المنطقة، إلى نفس تاريخ بناء المسجد المذكور.

بدأت المنطقة الواقعة أسفل القلعة تتحول منذ عام 1822 إلى منطقة حيوية ، تنتشر فيها الأسواق والمقاهي والخانات وأحيـاء ســـكنيـة ومقبرة كبيرة .بحيـث بلغ مجموع الســـكـان القـاطنين فيهـا ضـــعفي عـدد ســـكـان القلعـة امتدت هذه المنطقة مع مرور الزمن عام 1870 إلى منطقة سهلية فسيحة ومنبسطة أسفل القلعة باستقامة السوق الكبير والذي يقع فيها الجامع المعروف باسـم جامع قيردار الذي لا يعرف تاريخ إنشـاءه ،إلا أن الكتابات الموجودة على جدرانه ،تفصـح للزائر انه شهد إصلاحات مهمة في 1885. لقد كان لقيام والي كركوك منير باشا في 1882 بإنشاء مصبغة وخان ومقهيين في المنطقة المطلة على نهر خاصـه دوره في ازدهار المنطقة تجاريا. كما قامت بلدية كركوك في تلك الفترة بتشـييد خان مؤلف من طابقين، مما يعكس ان إيراداتها كانت في مستوى جيد.

يظهر مما تقدم بوضوح، أن أول الأحياء التي شيدت أسفل القلعة هي: محلة (امام قاسم) و(بريادي) و(جقور) و(آوجي) و(أخي حسين)، بخط متواز مع المقبرة الكائنة في هذه المنطقة التي يعود تاريخ إنشاؤها للقرن التاسع عشر حيث ظهرت حيا (مصلى) و(چاي). شكل (12).

النتائج والاستنتاجات

1- تأخذ هيئة النمط (المتراكز) في هيئتها الحضرية (نوع التحصين والسور والبؤرة في التكوين المركزي).

2- تتجاوب مع طبيعة الارض المحيطة وتستغلها رغم انعزالها (تحصنها) فهي تستغل النهر كشريط حماية وتحديد جهة التوسع والمصدر المائي. وبهذا فهي تشكل هيئتها من نماذج جيومورفية للهيئة الحضرية.

3- تتجمع عناصرها بانماط وكثافات عالية مما يعطيها نمطا (للهيئة المتجمعة) . وخصوصا بعد مرحلة التوسع للنسيج حول القلعة والذي تباينت كثافاته في فضاء غير محدد.

4- المداخل: حسب التسلسل الاتي للاهمية:

أ- يعتبر مدخل الادرج اقدم بوابة للمدينة والذي يحمل طابع الارتقاء والجســر الحجري المهدوم (الذي اســتبدل بجسر اخر ليس في نفس المحور) هو محور قوي جدا الذي يخترق البوابة وصولا الى المسار الحلقي المركزي ، اذا فهو المدخل رقم واحد .

ب- ياتي بعده باب الطوب الذي بني سنة 1822 تقريبا يمكن الاستفادة منه لانه البوابة الوحيدة تحتفظ بعمارة هيكلها .

ت- باب زندان ارتبط بوظيفة بناية زندان (الباقية لحد الان)، أي انها ترتبط بهذ البناية ووظيفتها .

ث- باب الحلوجية يرتبط (وباب زندان ايضا) بنسيج التوسع حول عمارة القلعة. يعتبران من المداخل الثانوية .

5- المسار الحلقي: يعتبر اوضح مسار يحكم الهندسة التخطيطية للقلعة (مركزية الفعاليات – ارتباط القطاعات – وانطلاق المسارات الثانوية – والمداخل). لذا فإننا سوف نجعلها الاساس الذي نستند اليه في بناء هندسية التخطيط.

6- العقد: يمكن تقسيم العقد حسب تسلسلها:

أ- عقدة مركزية ضمن المسار الحلقي تعتبر تقاطع المسارات التي تربط أجزاء المسار الحلقي في اتجاه القطاعات.

ب- عقد رئيسية تربط المداخل بالمسار الحلقي او بالعقد التي ترتبط بالمسار الحلقي مباشرة

ت- عقد ثانوية ما بعد الاولى ترتبط بالمسار الحلقي مباشرة من جهة وبمسار يخترق القطاعات من جهة اخرى

7- التخصص في القطاعات .

أ- القطاع المركزي

ب- القطاعات بشـــكل كتل مقطعية قريبة الى المربع ، تتجمع حول محيط القطاع الحلقي يحددها عاملين مهمين اولها ارتباطها بمسار المداخل ، والثاني المباني المهمة (الدلائل البصرية) .

ت- تقسم القلعة الى ثلاث مناطق رئيسية وهي تتبع وظائف معينة :

- المركز للابنية العامة: ثم انتشر فيها مساكن الاغنياء واصحاب الشان والسلطة
- محلة اغالق: فيها مساكن القادة العسكريين
- ميدان: للعامة ، وفيها جزء محلة زندان تبعا لمدخل زندان الذي يقع عنده مدخل سبع بنات
- محلة حمام: وتقسم الى حمام مسلم وحمام مسيح نظرا لفصل حمام المسلمين عن المسيحيين ولوجود كنيسة في الثانية وجامع في الاولى

ث- يلاحظ ان خطوط الفصـل بين هذه المناطق غير واضـحة بشـكل مميز بل هي متلاحمة وتتجاور بالنظام الخلوي العضـوي وتشير الى روح الجماعة والالفة، هذا لا ينطبق على القطاع المركزي.

8- الكتل والنسـيج السـكني: وحدات بسـيطة من الخارج ويغلبها التنويع في الداخل، تتشـكل بنظام يشـبه التراكب الخلوي العضـــوي وهي ذات فناءات أي تتجه نحو الداخل بارتفاع طابقين ولكن بمســـتويات ثلاث الى اربعة. والازقة والوحدات تحاكي المناخ الذي يكون حارا في هذه المناطق نسبة الى مناطق كردستان الاخرى.

9- يمكن ان نستدل بوجود السور في الجهة الشـمالي والغربية للمدينة الى محاور التوسع في عمارة القلعة والتي تمتد من الحدود الشـرقية الى الجنوبية ويشـير الشـكل (12) الى المراكز الاسـاسـية التي انطلقت منها محاور التوسـع لتتفاعل مع النسـيج الخارجي وترتبط بها بوظيفة تجارية وليســت ادارية ســوى مبنى زندان. وان المحيط في هذه الاتجاهات انتشــرت فيها ابنية ومساكن وفقدت خاصيتها الدفاعية.

10- ان النتائج السابقة تشير الى ان نشوء عمارة القلعة جاء وفق تنظيم لمكونات حضرية وعوامل متعددة ترتبط بالنشوء الاول للمدينة. وبسبب عوامل اجتماعية وسياسية ادت الى ضعف هذا النظام وهذا يستدل من ان النسيج المرتبط بالقلعة لم يتأثر بمركزية التخطيط لعمارة القلعة تخطيطيا كما في قلعة اربيل. ولكن تناغمت معها في التكوين الكتلي وعضوية النمو في النمط الذي حددته محاور التوسع وارتبطت معها بوظيفة التبادل للسلع والاشخاص بين مجتمعيها.

11- يرتبط تخطيط عمارة القلعة بالهندسة الاسلامية في التخطيط في الجوانب التي اعتبرها البحث مكونات المدينة الاسلامية.

فالعامل الجغرافي والمناخي، تندمج مع المناخ والطبيعة لتلبية حاجات انسانية وتظهر في:

- التصـاق المسـاكن او انفصـالها عبر ازقة ودروب ضـيقة ملتوية اشـارة للتلاحم الاجتماعي، والظل والظلال كتكيف مناخي مع المحيط.
- تحديد الارتفاع الى 2 طابق الذي يعطي الوحدة وكمعالجة مناخية لتيارات الهواء.
- الفناء الداخلي للمســاكن والصــحن والايوان والارتفاع وغيرها من مكونات المســكن الاســلامي، تكرر هذا النمط عدا في القصور المشيدة في ازمنة أقرب.

والعامل الاجتماعي، ويظهر في:

- ترابط الاحياء وعدم انفصـــالها الا بالانتقال عبر مســـارات مندمجة عززت التعايش حتى مع الديانات الاخرى دون تمييز في الانفصال بوحدة الجيرة .
- التوجه الداخلي في الانفتاح والتواضع في تقديم الواجهات للدور من الخارج مع التنويع في الداخل .
- المسـجد والجامع كعنصـر اسـاسـي وشـاخص في اجزاء القلعة وان اولها هي جوامع المركز ثم تحولت الكنائس الى جوامع بمرور الزمن وحولت توجهاتها الى القبلة .وقد تكرر نفس الطابع الاجتماعي ليصـــبح نمط مميز في النســـيج خارج القلعة الذي يلاحظ انتشار الجوامع والمساجد حولها .

أما العامل الحضري، فانه يظهر في:

أ- تحقيق عوامل التبادل (في تلاحم الاجزاء) والحركة (وجود الزقاق والدرب الذين يرتبطان باســـتمرارية) والتوســـع (الذي ارتبط بالأمان والاستقرار والنمو للمدينة الى الخارج).

ب- لا تحتوي ساحات ثانوية للتجمع سوى في المركز (للمسار الحلقي حيث المسجد والحكومة)، وكذلك في المراكز الثانوية للفعاليات الاخرى (كالمساجد والتكايا والحمام والمدرسة وغيرها).

ت- وجود عناصـر التكامل في الوظائف للمدينة كالمسـجد والحمام والسـوق والمدرسـة ودار الحكم وبوابات الربط ووضـوح مسارات الحركة فيها الى العاليات والمساكن.

وبالنســـبة للعامل العســـكري والأمني، فقد تحولت المدينة من مدينة دفاعية مســـورة والبوابات المدعومة في بداية الامر (بلدان الفتوحات السـريعة)، ثم بعد تحقيق الامان والاسـتقرار يتحول الى مدينة سـكنية وتتوسـع حسـب موجبات النمو والتبادل وتوسـع النشاطات وتنوعها. وكما حصل لجزئها الجنوبي والشرقي.

ومما سبق يمكن ان نلخص بعض **الاستنتاجات** المهمة:

1- تنوعت العوامل التي ادت الى نشـوء عمارة القلعة منها الجغرافية والاجتماعية وحضـرية وعسـكرية لتعطي شـخصـيتها كمستوطنة حضرية ترتبط بتاريخ وحضارة المنطقة التي ظهرت فيها.

2- ان المكونات الحضـرية لعمارة القلعة تعطي نموذجا لهيئة دائرية متراكزة كوحدة متكاملة نسـيجها ذات هيئة تجميعية في تراكب ونمو عضوي للوحدات السكنية.

3- العوامل التي ادت الى خلق هندسية هذه الهيئة هي.

أ- نشـأتها الاشـورية بارتباطها بحضـارة سـكان كردسـتان وما حولها (وهذه تظهر في شـكل المسـتوطنة وبعض التكوينات الهندسية لعناصر معمارية في كتلها البنائية في المساكن بشكل رئيسي).

ب- هندسة العمارة للمدن الاسلامية التي تعتمد على تحصين المدن او اعادة تحصينها، ثم تحويلها الى مدن حيوية اجتماعيا وحضاريا بعد تحقق عوامل الأمان والتوسع الاجتماعي.

ت- متطلبات التوسـع والتي تأثر بالنمو الطبيعي لسـكانها والتفاعل مع نشـوء النسـيج الذي حولها في نشـاطات حضرية.

ويوصي البحث بما يلي:

1- القيام بدراسـة شـاملة متكاملة تغطي جميع المسـتويات التاريخية والاثارية والمعمارية لوضـع قاعدة من المعلومات التي يمكن الاستناد عليها في اعمال تطوير وتأهيل عمارة القلعة.

2- تحتاج مثل هذه الدراسات الى استحداث قسم خاص يختص بشؤون القلعة وتاريخها ويكون مسؤولا لوضع لجنة او فريق يضم اختصاصات مختلفة وذات كفاءات متقدمة نظرا لأهميتها التاريخية والرمزية.

3- دراسة القلعة بارتباطه بالنسيج الذي حوله وبمراحل توسع وتطور المدينة الاجتماعي والاقتصادي والحضري لأنها ترتبط بنشوء المدينة وسكانها.

4- اصدار قوانين تمنع العبث او استخدام او اجراء أي تغيير في منطقة القلعة لحين اجراء الدراسات الكاملة، لكي تكون عمليات اعادة التأهيل والتجديد مدروسة.

المصادر:

1- الفن الاسلامي /د.عفيف البهنسي /طبعة 2 /1998- دمشق .

2- المدينة الاسلامية / د.محمد عبد الستار عثمان /1988- الكويت

3- اثارنا– في الاقليم السوري – اثري سياحي مصور- ابو الفرج العش – دمشق – 1960

4- دائرة الاثار والتراث – كركوك / صور واقع الحال والمخططات

5-

6- التخطيط الحضري/الجزء الثاني/التجديد الحضري وصيانة الموروث المعماري/ د. مظفر علي الجابري/جامعة بغداد / 1999

7- بيوت كركوك / اطروحة دكتوراه - د.صبحي سعاتجي – استانبول - 2003 .

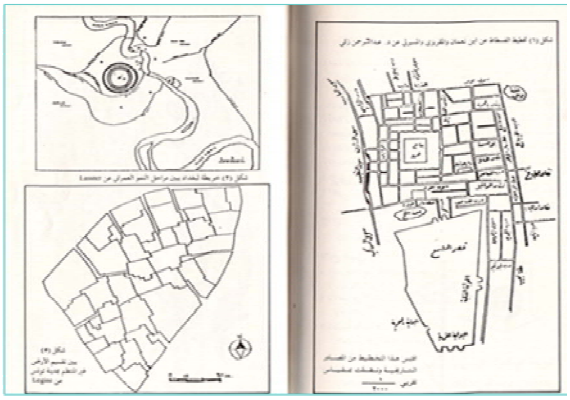

شكل رقم (1)

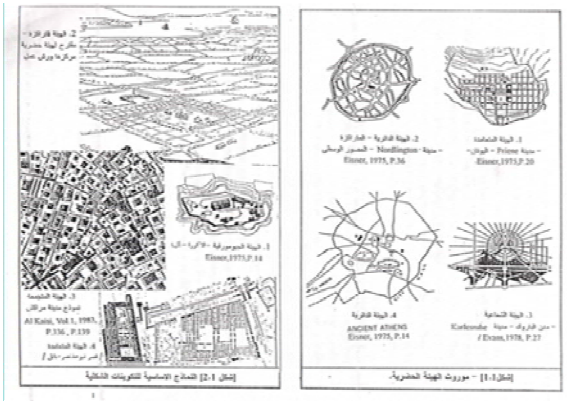

شكل رقم (2)

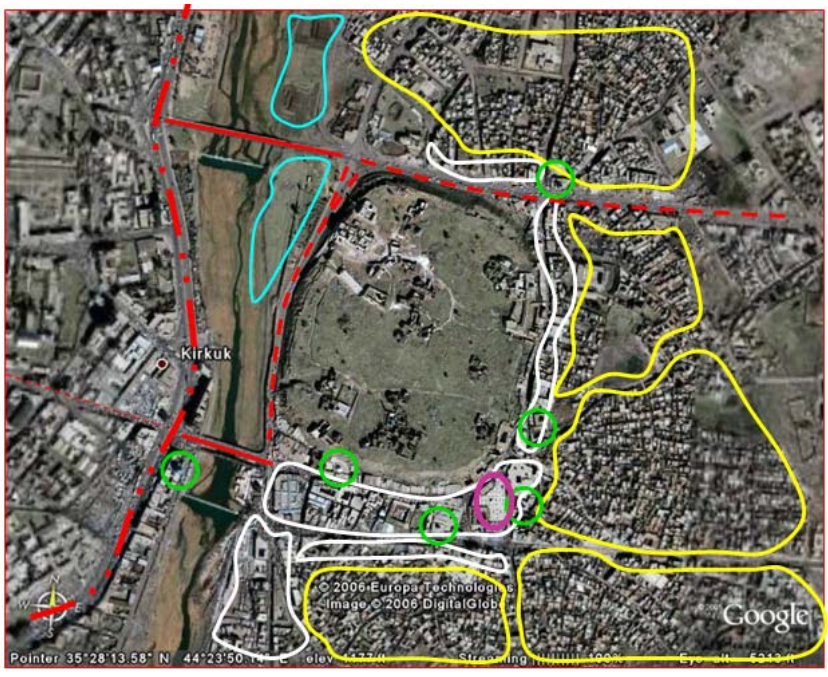

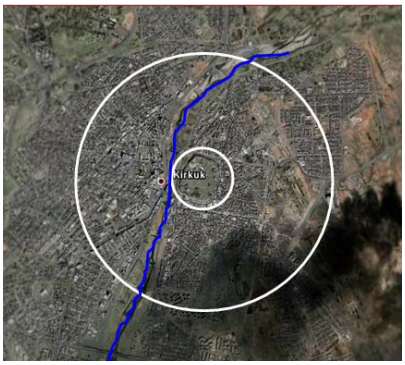

شكل (3 و4) موقع القلعة بالنسبة للمدينة والنسيج الحضري المحيط به

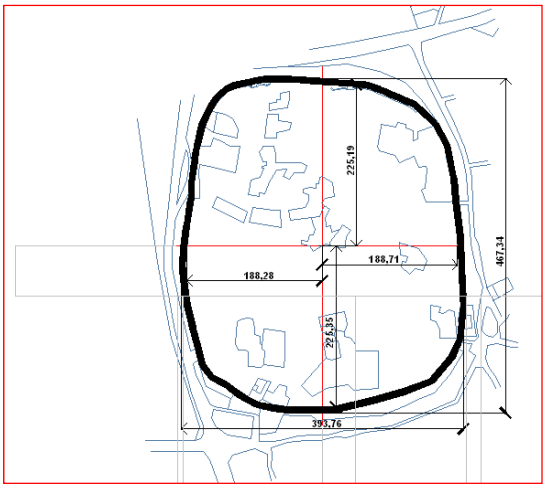

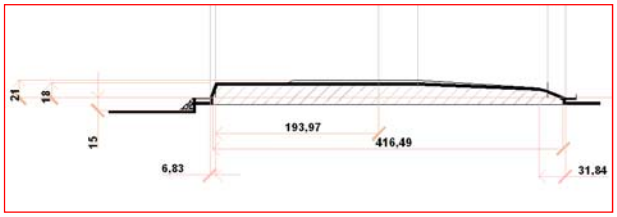

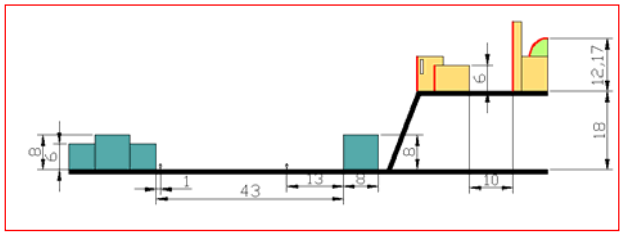

شكل (5 و 6) الابعاد الهندسية والارتفاعات

شكل (7 و 8) ما يظهر من النسيج القديم في المخططات القديمة.

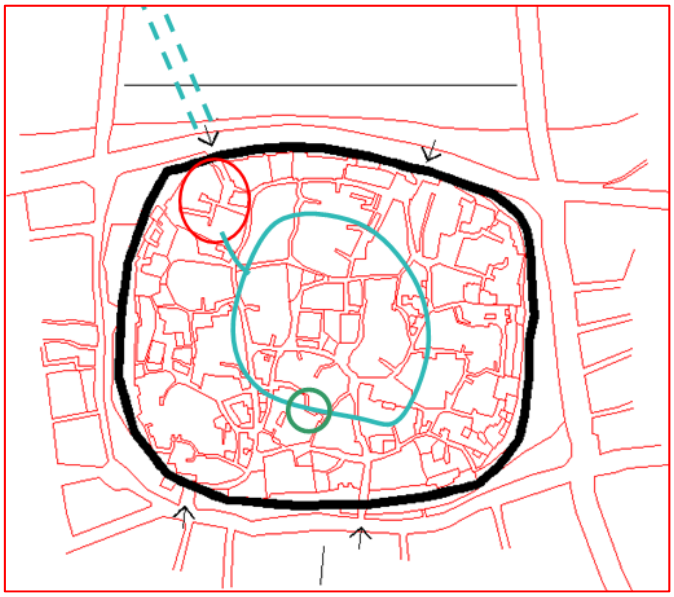

شكل (9)

شكل (10)

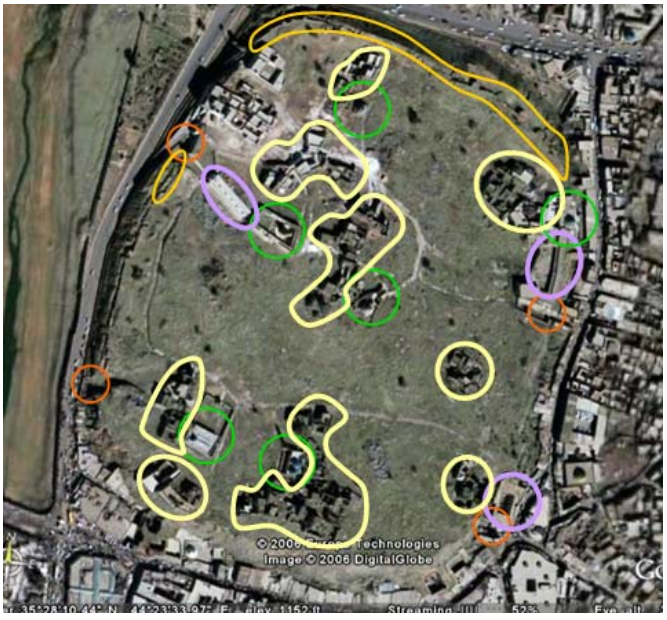

شكل (11)

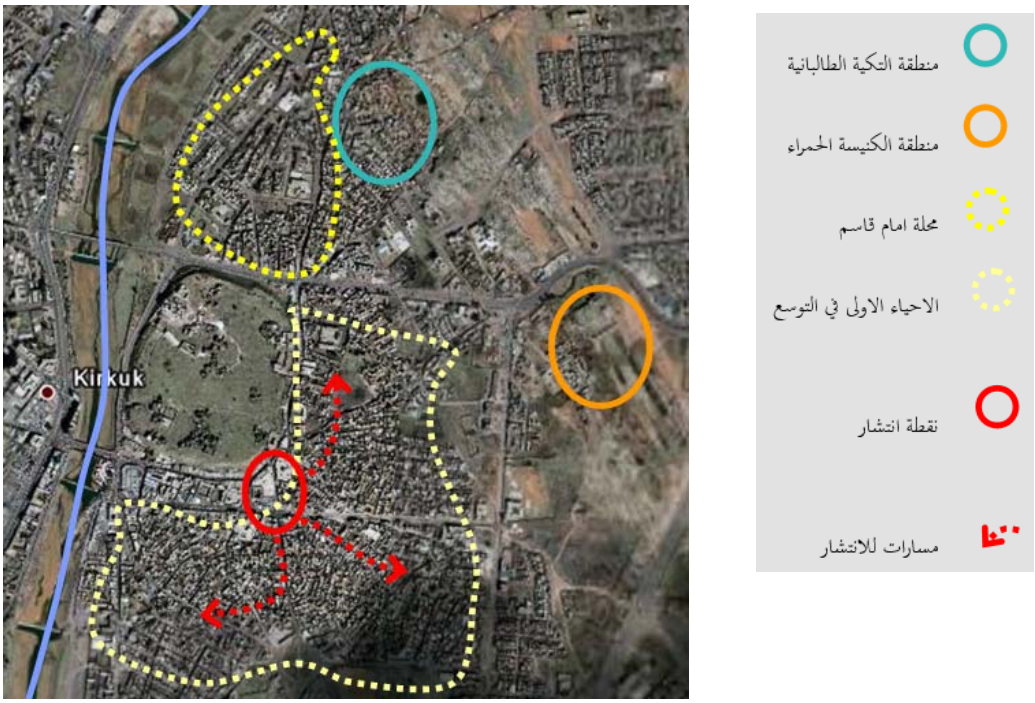

شكل (12) التوسع حول القلعة ويبين العقدة الاكثر فعالية في التوسع.

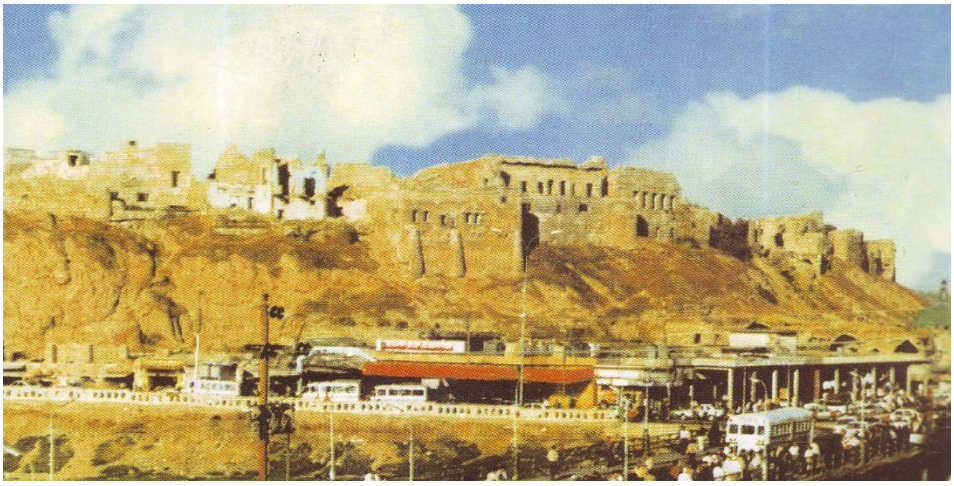

شكل (13 و 14)

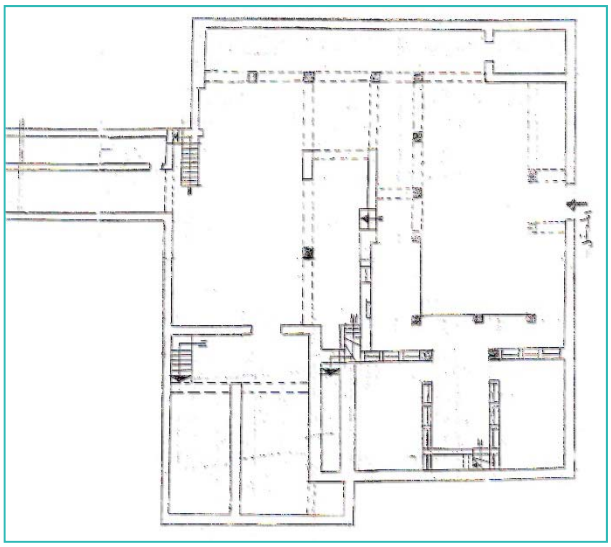

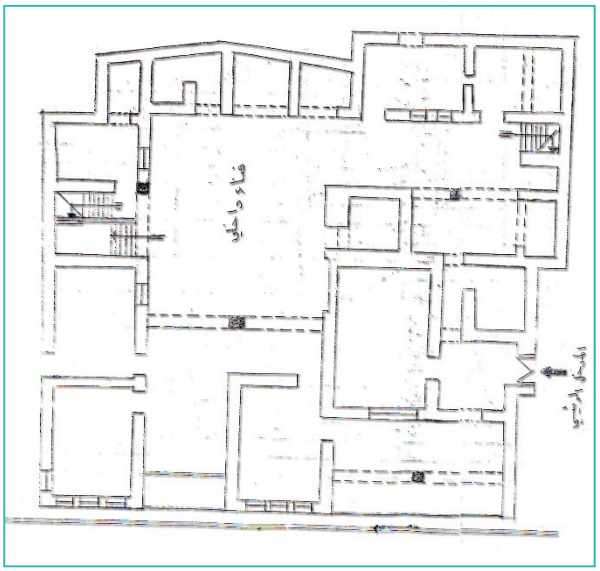

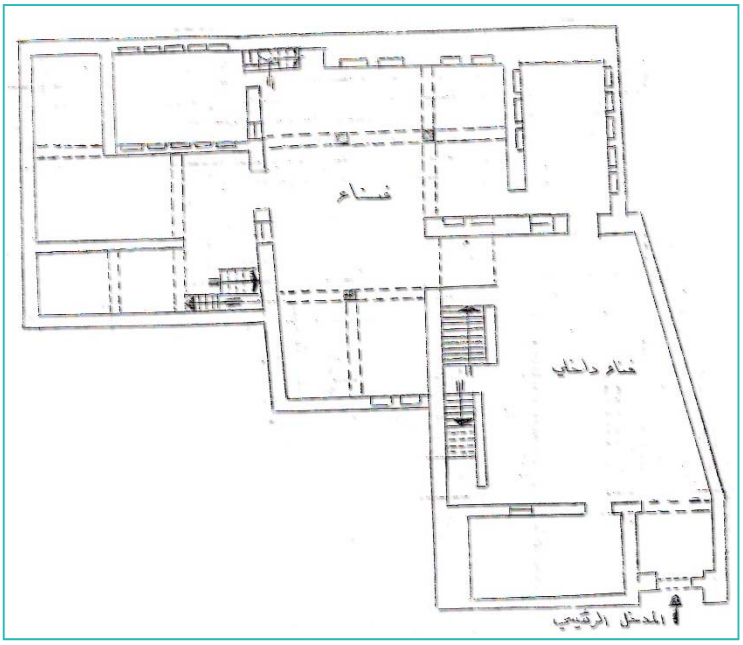

شكل (15 و 16 و 17 و 18)

مخططات لدور القلعة

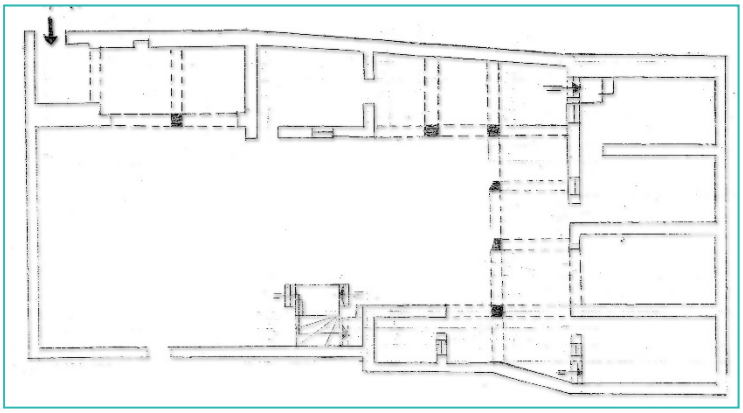

شكل (19 الى 24) صور لابنية القلعة